عوائد الحبش

للصيدلي القانوني ميخائيل افندي عبد الله رعد (تابع لما سبق)

٥ الاماثر والظواهر والسلام

اذا كان الحبشي من ذوي المكانة في قومه قلَّما يخرج من بيته ماشياً بل يخرج راكباً بغلاً وتتبعه حاشيته وغلمانه وعبيده واكثرهم يركضون وراء دابته حاملين البنادق على اكتافهم وعلى مقربة منهُ يجري غلام يحمل بندقية السيد وترسه وسط غلاف من القماش الاحمر المعروف بالجاوي . وهكذا تُعرف اهمية الحبشي من كثرة عدد الحاشية التي تتبعه وليس من رتبته — فقد يكون ذو الرتبة الوضيعة اكثر اهمية من ذي الرتبة الرفيعة على حسب ثقة الملك او الامير به — وهكذا النساء فانهنَّ على حسب اهمية ازواجهنَّ يخرجنَ راكبات بغلاً وحولهنَّ الغلمان والعبدات وبعض من الرجال المسلحين بالبنادق

قد المعنا فوق هذا الى ان الحبشي لا يلبس حذاء في رجليه ولذلك ترى على سروج الدواب حلقات من حديد بدل الركابات يلقي فيها ابهامه فقط ويهمز الدابة بساقيه على الدوام فيجريها جري الرهاوين

اما السلام عندهم ففيه كثير من التصنُّع والظواهر فهم يحيّون بعضهم بعضاً بالانحناء ويخرّون سُجّدًا على الارض امام الملك والامراء والرؤساء ولا ينادي احدهم الآخر الا بقوله : يا سيد . واذا كان بينهما من قرابة او صداقة او معرفة دعاه اخاه والاخ الحقيقي يدعو اخاه « اخي ابن امي » . وعبارات التحية عندهم قصيرة التركيب مع كثرتها تشهد على فقر اللغة الحبشية وقلة تثقيف آلها فيقولون : كيف انت ؟ كيف صحتك ؟ كيف قضيت الايام ؟ كيف قضيت الليل ؟ كيف النهار ؟ كيف اصبحت ؟ كيف اضحيت ؟ كيف امسيت ؟ كيف قضيت الصيف ؟ كيف قضيت الشتاء ؟ كيف ابوك ؟ كيف امك ؟ كيف امرأتك ؟ كيف اولادك ؟ كيف الدواب ؟ كيف المقتنى ؟ الخ . الى ما لا نهاية له . وعلى كل من هذه السؤالات يجيب الخاطب بانحناء الرأس والظهر قائلاً : بخير يُحمد الله . واذا حان الوداع قبَّل احدهما الآخر على شفتيه ثم انحنى

كلاهما وقبّل الواحد ركبة الآخر قائلين: كن بخير. فليحفظك الله. فليجمعنا بخير. ويجيب بعضهما على بعض: آمين ثم يفترقان. ولمّا تحية العبد لمولاه وتحية الرعية لملكها او لاميرها فهي السجود الى الارض بلا كلام. والذي يكون منهم ارقى من سواه ومتقرباً من مولاه يُسمح له بتقبيل رجليه. وتحيـة الوضيع للرفيع هي الانحناء او السجود على حسب الدرجات والنطق بهذه العبارة: فليعطكَ الله صحةً. او عمرًا. فيجيب السيّد بنعم حاجبه: كيف اصبحت؟ فيخرّ العبد او الخادم ساجدًا وهو الجواب

ولهم ازياء في لبس الوشاح فهم يتشحون به على هيئات لها معانٍ وآدابٌ مختصّة بهـا. ففي الحالة الاعتياديّة يتغطّى الحبشي بوشاحه على طول قامته ثم يردّ اطرافه على كتفه الشمال وقد يغطي به احيانًا رقبته ويجعل طرفه فوق الفه ولكنهُ اذا كان بحضرة سيـده أتزر بوشاحه وردّ طرفه على كتفه اليمين وهي عندهم اشارة الاحترام

واذا جاء الحبشي زائرًا يدخل راكبًا بغله الى امام المسكن ولكنّ حاشيتهُ يبقون بهائمهم خارج منطقة الزريبة والخدام والغلمان لا يدخلون البتة وهذه ايضاً من علامات الاحترام

٦ الزمان والاعمار

الاحباش اكثر من سواهم من الشعوب المتأخرة في المدنية لا يعرفون للوقت قيمة والعجلة عندهم اسم لغير مسمّى فلا يعملون اليوم ما يستطيعون عمله في الغـد وسيّان عندهم أتي العمـل عاجلًا او آجلًا حتى ان لغتهم نفسها ليس فيهـا اشارة ولا اداة تدلّان على المستقبل او تفرقان بينه وبين الحاضر في تصريف الافعـال. لذلك تتقدّم بلادهم نحو التمدّن وان محسوسًا انما يجري ببطء وسكون فقـد جُبلوا على البطء في كل اعمالهم حتى ان الغريب ييأس من جمودهم في بادئ امره الّا انهُ لا يعتم ان يعتادهُ فلا يقنط من الحصول على مبتغاه عاجلًا كان ام آجلًا

امّا حساب الزمـان عندهم فانهم يتبعون السنة المصريّة وهي تتألف من اثني عشر شهرًا كل شهر منها عدد ايامه ثلاثون يومًا يعقبهم في آخر السنـة شهر صغير عدد ايامه خمسة ايام فقط وهي المعروفة في مصر بايام النسيء يزاد عليها يوم سادس مرّة في كل اربع سنين وهي السنة الكبيسة. وهم ينسبون السنين اربعَ اربع الى الانجيليين

الاربعة وعام القديس لوقا هو العام الكبيس عدد شهر نسيئه ستة ايام . وسنفرد للكلندار الحبشي مقالة مخصوصة ان شاء الله

قلما يكترث الحبش لمعرفة اعمارهم واذا سألت مستفهماً عن عمره اجابك : « ومن اين اعرف ذلك ؟ اسأل امي التي ولدتني فلا بدّ انها تعرف » . او اذا كان ارقى درجة قال لك : « امي قالت لي انهـا ولدتني عند ما حارب الملك يوحنس الدراويش » او « عند ما ذهب الرأس مكونين لاخضاع بلاد العبيد » او « لمّا اخذ منليك هرر » او « لما ذهب منليك ليحارب الطليان » ونحو ذلك من الحوادث التاريخية في بلادهم . فبدرس تاريخهم تستطيع ان تحسب اعمارهم

٧ الزواج والمرأة

الحبش وان نصارى قلما يتزوجون طبق الاصول المرعية في الزواج المسيحي . زواجهم اذا تمّ قانونيًا لا يقبل الانحلال على الاطلاق وكنيستهم بذلك تتّبع التقاليد المستقيمة التي ورثتها عن كنيسة الاسكندرية قبل دخول البدعة اليعقوبية فيها . وقد يتطرفون الى اكثر من ذلك حتى يمنعوا اقتران احد الزوجين بعد موت قرينه . ولكنّنا نرى مع الاسف ان قلّ من تزوّج على هذه الصورة وهم في الغالب يتزوجون زواجاً مدنيا يقوم باتفاق الفريقين واقرارهما بهذا الرضى امام الشهود وبحضرة القاضي . وهذا النوع من الزواج يسوغ فيه الطلاق في ايّ ساعة ولأي حجّة كانت . وعنـد الافتراق يقتسم الزوجان ما عندهما من الامتعـة والاواني والمال متناصفين مع قطع النظر عن الجاني وكيفيّة جنايته . امّا الاولاد فالذكور يأخذهم الرجال والبنات تأخذهنّ الامهات

وقد يتزوّج الكثيرون من عامة الناس نوعاً ثالثاً من الزواج يقوم بان يتّفق الرجل مع امرأة على راتب شهري او سنوي وله ان يطلق سبيلها متى شاء فيدفع لها المستحق من اجرتها لا غير

فللبيب غنى عن البيان انّ الاتحاد على هاتين الصورتين الاخيرتين ليس على الثبات من شيء ولا هو مبني على اساس وطيد فينتج عنهما تعميم الفساد في العوائد وفي الدين ولا يُستطاع فيهما تربية الاولاد على الاطلاق هذا عدا ما ينجم عنهما من المشاجرات واطلاق العنان للشهوات وتعميم الشرّ والرذيلة في البلاد والسير بهما الى التوغل في

التوحش بدل الاقتراب من التمدن. وهذا من الاسباب الرئيسيَّة التي تحول بين الحبشة وسرعة تمدّنهم. والاكليروس مع كثرة عدده لا يستطيع ان يغيّر هذه العادة اولًا لانهُ جاهل بل قُلْ انَّ اجهل الناس في الاحباش الكهنة ثم لتوغّل الشعب في ظلام الجهل واطلاقه الاعنَّة للفساد فلا يصغون لقول الناصح ولا يفقهون ثمرة النصح. نعم ان بعض الكبار منهم يتزوجون الزواج الكنسي لكنَّهم جروا بموجبهِ لان الظروف اجبرتهم عليهِ امَّا هم فلا يدرون ماهيته ولا يعرفون كنههُ فتجد بيوتهم ملأى من النساء غير الشرعيات والخادمات والإماء. ولهم اولاد من كلهنَّ وجميع هؤلاء الاولاد شرعيون بعين الحبشة الحاكمة لا يختلف ابن الأمة عن ابن الحرَّة اذا كانا لأب واحد لا في إرث ولا في غير ذلك من الحقوق. فهذا الامبراطور منليك نفسه ابن الملك هايلا ملكوت فانَّهُ من غير امرأته الشرعية اذ لم يكن لهُ منها ولد. وهذا ولي عهده الامير ياسو ابن ابنته ابوه الراس ميكائيل الذي لم يتزوج قط بابنة منليك زواجًا شرعيًا حتى ولا مدنيًا. وهذه الامبراطورة طايتو متزوجة بمنليك زواجًا غير شرعي بعد ان كانت زوجةً للراس وَلْدي وهو الى اليوم حيّ يُرزق. وقد شاع ان زواج هذا العاهل أُعطي صبغةً شرعيَّة كنسية في هذه الايام الاخيرة ولكنَّ هذا زيادة في التقبيح وليس بذاك فان الراس ولدي حيّ مغضوب عليهِ معزول من وظيفته. فمن هو الاسقف الذي يجرؤ هذا الزواج تزانيًا او سمح بعقده ؟ . . . نقف عند هذا الحدّ حتى لا يزلق بنا القلم فنكشف الستار ونبيّن الشنار عن كل ما عرفناه وسمعناه منذ ان وطئنا هذه الاقطار التي تجدّ ذاتها هي جنَّة وخصوصًا في قلب افريقيـة ولكن لم يسعنا الاغضاء عن هذا القليل انتصارًا للحقّ وردًّا لحملات بعض الكتبة الافرنج الذين كتبوا ولم يزالوا يكتبون المقالات الطوال عن الحبشة فيعتبرون هذه العوائد بالطبيعية ويزعمون انهُ يجب اتباعها في كل مكان وبالتمدّن الـ ـم ولو وقفوا عند هذا الحدّ فلا الامر كذلك يتعدى . . . على المذهب الكاثوليكي الذي يعدّ ذلك من المنكرات . . . استعملت نفوذها وقوَّتها عضدًا لتعاليمها ونصائحها . . . الشرور. نعم ان الكنيسة الحبشيَّة نفسها قبل تكلمها في وامرآتها الذين يطلقون العنان لمثل هذا الفساد وتـ مثالًا للشعب فيصعب استئصال الشرّ منهُ لا استبدادً

هذه سيرة الاعيـان فما عسانا نقول عن الشعب وحالته وكيف نصف الرذائل التي هو منغمس فيها ؟...

امَّا المرأة وحالتها فهي ساقطة مستعبدة في بيت زوجهـا ما خلا بعض الاميرات والشاذّ لا يقاس عليه بل ان الاميرات انفسهنَّ وان محترمات مبجّلات في عين الغريب الَّا انهنَّ عبدات امام ازواجهنَّ في معيشتهنَّ الداخليَّة . وبشوع الاجمال انَّ على المرأة في الشعب القيام بمهمات البيت فهي تطحن الحبوب وتعجن وتخبز وتأتي بالماء وبالوقيـد من الخارج على ظهرهـا وتطبخ وتهيئ الاطعمة وتحضّر البوزا وقلما ترقد ليلها من غير ان يجرّد زوجها عليها عصاه فيضربها ضرباً قاسياً بلا شفقة لاي حجة كانت وقد تكون حجتهُ وهميَّةً صوَّرتهـا لهُ حالة السكر ولا حرج عليه امام الناس والحكومة . وهي فوق ذلك تذهب الى السوق لشراء الضروريات وتغسل القطن لحياكة ثوبها وثوب رجلها . امَّا الغسيل والخياطة فهما عمل الرجل

وقد يعلّم بعض الكبار لبناته القراءة كما يعلّم اولاده الصبيان الَّا ان ذلك نادر جدًّا والنساء اللاتي يعرفن قليلًا من القراءة لا يتجاوزن عدد الاصابع في مجموع النساء الحبشة

٨ العائلات والاسماء

مما تقدم من تبيان سوء روابط الزواج يظهر جلياً للقارئ الكريم ان من المستحيل ان تُضبط روابط العائلات والانساب وان يُفرق بينها باسماء معروفة . لذلك لا يُعرف الحبشي الَّا باسمه الخاصّ ولا يجمع بينه وبين ابيه واخيه وابن عمه مثلًا اسم عامّ يختص بالعائلة وهو ما ندعوه باللقب . فالحبشي هو فلان لا غير والقليل منهم يُعرف بفلان بن فلان لا فلان الفلاني

الَّا ان لاكثرهم اسمين اسمٌ بالمعمودية او بالنصرانيـة واسمٌ آخر يُعرفون به وبعضهم يُعرفون فقط باسم المعموديَّة واخصهم الرقيق . فاسماء المعمودية دينية محضـة مأخوذة عن اسماء الجلالة واسماء القديسين الشهداء وهم يضيفونهـا الى « عبد » و « ابن » و « قوة » و « نعمة » و « سلاح » و « غرسة » و « عمود » وما ضاهاها . مثال ذلك : گبرا ازگهار (عبد الله) ولدا ميكائيل (ابن ميخائيل) هايلا مريم (قوة مريم)

تقلا هيمانوت (غرسة الايمان) سهلا سلاسيه (نعمة الثالوث) عمدا كرستوس (عمود المسيح) وقس على ذلك ما جرى مجراه . امّا الاسماء المتعارفة فهي مختلفة الانواع والتراكيب فمنها اسماء ومنها افعال ومنها جمل ومنها اصوات صراخ الى غير ذلك. مثلاً : منايك (مَن معادلي) مكونين (القاضي) دنستا (الفرح) مَسفِن (الامير) فرّدا (حكَمَ) أبيا (أزهر) وندمْ اگانيو (وجدتُ اخاً) زَوردي (تاجي) گبره (خادمي) گبرو (خادمهُ) تغري (المهول) أشوا لول (لؤلؤ الرمل) گيتا هون (كنْ سيداً) إشْ بله (قل لي نعم) طنف يأهم (لن يكون لك ذرّية) الى غير ذلك مما يضحك الثكلى . وللاناث ايضاً نفس هذه الاسماء على صورة التأنيث

على ان اعضاء العائلة المالكة اليوم وانسباءهم المعروفين بذرّية هايلا سلاسيه (جد النجاشي الحالي مالك الشرا) يعدّون نفوسهم من الاشراف في الحبشة لا لاستيلائهم على السلطة فقط بل لادّعائهم انهم من سلالة سليمان الحكيم ابن داود النبي . فيتولون — وهي خرافة يتزلونها في الحبشة مكان الصحة التي لا ريب فيها — ان ميكادي ملكة سبا عند ما ذهبت الى اورشليم اتخذها سليمان الحكيم له امرأة وولدت ابناً هو منليك الاول (راجع المشرق ٦ : ٩١٥) . ولمّا شبّ منليك هذا ارسله ابوه الحكيم الى الحبشة مصحوباً باثني عشر قائداً يمثلون الاثني عشر سبط اسرائيل وبعدد عظيم من الجنود والحاشية فاتى وضبط زمام الملك وجعل عاصمته مدينة اكسوم . ولما استتبّ له الامن سنّى القواد رقعته امراء وقسم بينهم المملكة إمارات يحكمونها تحت سيادته . لكنّ ظروف الزمان وكرور الايام ونكبات الحروب غيّرت هذا التقسيم وقلبتهُ مرات عديدة ولم يزل يتقلّب ويتغيّر ويتقسّم الى اليوم . الى آخر ما هناك من الحكاية ! . . . فهم يدّعون اليوم ان منليك الثاني الحالي هو وعائلته من سلالة منليك الاول ابن سليمان . ولا عجب فقد تأصلت هذه الخرافة في الحبشة منذ عهد بعيد وادّعى جميع ملوك الحبشة وامبراطرتها نفس الادعاء واتخذوا لنفوسهم نفس النسب مع انهُ مما لا يختلف بهِ اثنانِ من المؤرخين ان هؤلاء الملوك لم يكونوا كلهم من اصل واحد . والله اعلم . وقد دعا الافرنج هذه العائلة بالسليمانية لادّعائها بهذا النسب الّا ان اعضاءها لا يلقّبون بهذا اللقب بل هم يتفاخرون فقط بكونهم من ذرّية سهلا سلاسيه

هذا نظر اجمالي عن عوائد الحبش وهو الاخير الذي نسطرهُ في هذا الاقليم .

وسنلحقهُ بايضاح احوال الحبشة الاجتماعية والحكومة في الحبشة وذلك بعد عودتنا الى الوطن العزيز ان شاء الله

نخبـــة

من امثـال القس حنانيًا المنيّر

تلامذ عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني (تابع)

معاملات

ما لهذه الكنيسة الخربانة الّا هذا الخادم الاعمى (١ = ما لهذه الدنجة الوخمة الّا هالرهم النجس = من ساواك لنفسه ما ظلمك أو من عاملك بسوات (بثل) نفسه ما ظلمك = الظلم بالمساواة عدل = ظلم بالسويّة عدل بالرعيّة = اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك = من ذكرني بعظمته كنت عنده عظيم = الوردة تنا بتشبع لكنها تطيّب المانس (٢ = من رادك زيده ومن طلب بعدك زيده (٣ = من سأف لا يستوحش = من سأف السبت رأى الاحد قدامه = يا ما لستّي (٤ عند سيدي = الدهر مكافاة = الذي ياكل هالأكلات بيقع هالوقعات (٥ = اخذ التار بما هو عار (٦ = الذي ياكل حلوتها ياكل مرّتها = كما تراني يا جميل اراك = من استحى من شي يضره ما اكتمل عقله = الذي يدقّ الباب يسمع الجواب = من يزق بكتفك

---

١) ويروى اليوم هكذا (الكنيسة بخربانة وخادمها اعمى)

٢) المانس يزيد جا هنا (الانوف او (الانواه)

٣) رادك بمعنى ارادك . واثبت عين الاجوف في الامر حسب عادة العامة

٤) العامة تستعمل ستّي بمعنى سيدتي

٥) ويروى عندنا اليوم هكذا (اللي ياكل هالأكلات بيموت بهالوقعات)

٦) ويروى لهجتنا (اخذ التار ما هو معيار) والتار بتخفيف التار بالتاء المثلثة والمعيار بمعنى العار عند العامة